القراء العرب، ولكنها تظل افتراضاً. وهذه الخلفيات ليست ضرورية لتوضيح الأحداث فقط، بل هي العمل الحقيقي للتكوين النفسي والاجتماعي للشخصيات القصصية. وهي جزء من الحدث، أيضاً. ان وضع الأم، في قصة «النجار الصغير»، في قلب الحدث واستحضارها ضروريان، فهي الذاكرة التي تربط الماضي (الأب ــ الشهيد ــ النجار) بالمستقبل ــ أي مسعى الصبي لأن يصبح نجاراً.

لذلك، فعندما يكتفي الصبي باستعادة ما قالته الأم عن أبيه نظل في مجال الاخبار والانباء، بعيدين عن معايشة الحبل السري الذي يربط الابن بأبيه.

وتظل، أيضاً، قرارات رواية «وانهار الجدار» مجرد مزاعم، ان لم ننفذ الى عمق المأزق الذي يعيشه الفلسطيني.

وفي قصة «الشمس تذوب» يأتي الموت مفاجئاً، وخارج السياق. تسقط القنابل فجأة فتقتل «عريب» وتهشم ساق الراوي.

أي، أنه حين تحولت هذه القصص إلى مجموعة من الأخبار بحيث أصبحنا في مواجهة قدر غير مفهوم، لا قدر الفلسطيني المحدد بالذات.

رغم هذا، فإن هذه القصص قد قادتنا الى حافة الهوة، ولم تسر الخطوة التالية الى تجسيد مكونات النفس الفلسطينية. كان ذلك يحتاج إلى مران طويل، كما قلنا.

تميُّز هذه المجموعة ــ رغم كونها بداية ــ نتلمسه في تلك المحاولة الصعبة لاكتشاف لغة القصة. لغة تتميز في الخروج من التشبيه البلاغي الى الصورة، ومن اللغة التقريرية الى اللغة المفتوحة الموحية.

يصف الكاتب في قصة «تمزق» طفلاً يسير بجوار أمه في زحام «باب العامود» بالقدس: انه يهبط الدرجات المزدحمة و«الحياة كدأبها تسير هادئة، رتيبة، ناعمة، كما بدأت منذ الأزل... الوجوه صاعدة هابطة بهدوء ونشاط سوى ذلك الطفل الصغير الحلو، الذي يشد يد أمه لتشتري له كرة ملونة من البسطة التي تسد آخر الزقاق القصير لتدفعه الى الانحناء شرقاً.. إصراره الطفولي وعناده اللين الطري ذكّراه باسامة ــ أخيه الصغير ــ..».

صورة أُخرى في «النجار الصغير»:

«يبدو لي كلما أراه.. كدمية كبيرة رائعة، ملقاة باهمال في مطبخ.. شعر أشقر مبعثر.. وعينان زرقاوان تطفحان بنظرات مكسرة، وكفان ناحلان أسند بأحدهما جانب وجهه الشمعي.. وأمسك بالأخرى ملعقة كبيرة، يضرب بها ضربات رتيبة هينة على فخذه الصغير، وما عدا ذلك فثياب متسخة، يميزها سروال ضيق مرقوع فوق الركبة اليسرى. واصبع كحبة كستناء مقشورة يبرز من ثقب واسع في حذائه المهترىء. ثم قلب صغير يدق كيفما اتفق منذ عشر سنوات.. حول الدمية.. عدة مقالٍ يتدلى سواد معدنها مع بياض الحائط المغبش..».